الجاموس ركن من أركان الثروة القومية

للدكتور عبد المنعم عاشور

ينظر الفلاح المصرى إلى الجاموس نظرة خاصة فيعتبره مصدرا هاما من مصادر ثروته وسببا قويا من أسباب رخائه وسعادته يعتمدعليه فى الحصول على لبنه وسمنه وجبنه كما يلقى عليه عبء القيام بمختلف الأعمال الزراعية فى حقله .

ولا يقتصر تأثير الجاموس على الحالة المالية للفلاح بل يتعداها الى حالته الصحية إذ من المسلم به أن تغذية كثير من صغار الفلاحين ناقصة من حيث نوع الغذاء فتوفير اللبن ومنتجاته يسد كثيرا من هذا النقص ويحول دون إصابة الفلاح ببعض الأمراض التى غالبا ما تعزى الى نقص التغذية أو الى افتقار الغذاء الى بعض العناصر الهامة .

أما من حيث مركز الجاموس فى الثروة الزراعية فهو عامل هام ويتضح ذلك إذا علمنا أن بمصر من الجاموس نحو ثمانمائة ألف جاموسة ويقدر الخبيرون ما يعطيه الجاموس المصرى من اللبن والنتاج والسماد البلدى بنحو عشرة ملايين من الجنيهات .

لاشك أن هذا مبلغ ضخم يسترعى النظر ويستوجب الاهتمام فهو يعادل ٤٠ ٪ من قيمة محصول القطن فى العام .

ولا يفوتنا أن محصول القطن لمصرى رهين بما يصيبه من الآفات المختلفة والحشرات المتعددة التى كثيرا ما تؤدى الى نقص المحصول ، كما أن سعر القطن يقع تحت تأثير تقلبات الأسواق ، أما المنتجات الحيوانية بصفة عامة فتكاد تكون ثابتة من حيث الكمية وأسعارها متقاربة علاوة على أن الطلب عليها دائم .

لا شك أن هذه المقارنة تظهر لنا أهمية الجاموس بالنسبة لغيره من مصادر الثروة الزراعية كما تشهد بأنه ركن هام من أركان الثروة القومية فى مصر .

ولا يخفى أن الجاموس المصرى لا زال على حالته الأولى لم تتناوله يد التحسين كما أن المجهودات التى بذلت لرفع إنتاجه من اللبن والدهن مجهودات ضئيلة ، فمن المحقق إذن أن أهمية الجاموس بالنسبة للثروة القومية ستزداد بازدياد العناية به .

ومما يزيدنا يقينا فى أن أى مجهود يبذل فى سبيل تحسين الجاموس المصرى سيأتى بالنتيجة المرجوة ما دام هـــذا المجهود قائما على أسس سليمة وقواعد ثابتة ، إن الجاموس المصرى من أصل طيب ومن أحسن أنواع الجاموس وأوفرها إنتاجا ويشترك مع الجاموس المصرى فى الأصل الجاموس الإيطالى والرومانى وغيرذلك من جواميس حوض البحر الأبيض المتوسط.

ولقد تنبهت تلك البلاد إلى أهمية الجاموس واستفادت بجودة نوع جاموسها ، فأولته عناية خاصـة وبذلت مجهودا كبيرا فى سبيل تحسينه حتى رفعت إنتاجه إلى ما يقرب من ضعف محصول جاموسنا .

وليس هناك فرق بين الجاموس المصرى وجاموس تلك البلاد إذ هما متفقان فى الأصل والمنشأ ، ولكن اهتمت تلك البلاد بجاموسها وبذلت المجهودات المتواصلة لتحسينه ورفع إنتاجه ، أما جاموسنا فقد ظل منسيا حينا من الدهر حتى صار إنتاجه أقل من غيره .

والآن وقد بينت أهمية الجاموس بالنسبة للفلاح وأظهرت مركزه فى الثروة الحيوانية يهمنى أن أذكر شيئا عن محصول الجاموس المصرى من اللبن والدهن وهو على حالته الراهنة ثم مقارنته بالأبقار المصرية كماشية لبن .

فمتوسط ما تعطيه الجاموسة فى موسم الحلب الكامل يبلغ نحو ٤٠٠٠ رطل من اللبن وقد يفوق محصول بعض الأفراد هذا المتوسط إذ أعطت جاموسة ٨٠٠٠ رطل من اللبن فى موسم حلب واحد وأعطت أخرى ٩٠٠٠ رطل ووصلت ثالثة فى إدرارها إلى ١٠٢٠٠ رطل من اللبن .

لاشك أن مثل هذه الإفرازات العالية نادر ولكن وجودها دليل على أن بين الجاموس المصرى أفرادا ذات كفاءة إنتاجية عالية وقدرة كبيرة على إدرار اللبن مما يؤيد جودة نوع الجاموس المصرى .

كما أنه يمكن اتخاذ هذه الإفراد أداة إصلاح ونواة للتحسين ، أما من حيث محصول الجاموس المصرى من الدهن فقـد كان متوسط جميع التحاليل ٧,٢٥٪ ومعنى ذلك أن الجاموسة تعطى فى المتوسط نحو ٣٠٠ رطل من الدهن أو ما يقرب من هذا القدر من السمن .

هذا وقد يفوق بعض الأفراد هذا الإنتاج فتعطى الجاموسة ما يقرب من ٦٠٠ رطل من السمن فى الموسم الواحد وهذا محصول لا يستهان به .

من هذا يمكن القول إن الجاموس المصرى وهو على حالته الأولى يعطى محصولا مناسبا من اللبن والدهن لا سيما إذا قورن هذا المحصول بنظيره فى حالة الأبقار المصرية .

فالأبقار المصرية تعطى محصولا من اللبن يقدر بنحو ٢٠٠٠ رطل خلال موسم الحلب الكامل ونسبة دهن حوالى ٤,٥ ٪ ومعنى ذلك أن البقرة تعطى فى المتوسط نحو ١٠٠ رطل من الدهن أو ما يقرب من هذا القدر من السمن .

هذه البيانات تدل على أن الجاموسة تعطى محصولا من اللبن يبلغ فى متوسطه قدر ما تعطيه بقرتان أما من حيث السمن فتعطى ما يقرب من محصول ثلاث أبقار .

لهذا كان الواجب يحتم علينا حكومة وشعبا أن نعنى بالجاموس وأن نعمل على تحسينه ورفع محصوله .

فالحكومة مسئولة بوجه عام عن تحسين الجاموس وإيجاد سلالات تعطى محصولا وفيرا من اللبن والدهن ، ذلك لأن تحسين أى نوع من الماشية يحتاج الى مجهود متواصل لا تتحمله الأفراد كما يستلزم مبالغ طائلة لا تتسع لها مالية الأفراد ، لذلك يلقى مثل هذا العمل على عاتق الحكومات والهيئات الكبيرة .

ولم تحجم الحكومة المصرية عن القيام بواجبها فى هذا الصدد ، فوضعت مشروعا عاما يرمى الى تحسين الجاموس المصرى ، وقد كان ذلك فى عهد حضرة صاحب المعالى محمود توفيق حمناوى بك وزير الزراعة السابق واليه يرجع الفضل الأكبر فى تنفيذه .

ويرمى هذا المشروع إلى تربية أفراد ممتازة من الجاموس عرفت بعلو إدرارها ثم ينتخب من نتاجها فحول لها كفاءة كامنة عالية لادرار اللبن والدهن وبعد اختيار هذه الفحول ومعرفة قدرتها على توريث النسل صفاتها وقدرتها على رفع محصول بناتها من اللبن والدهن ترسل الى جهات القطر المختلفة لتقوم بتلقيح جاموس الأهالى .

لاشك أن الأساس الذى بنى عليه هذا المشروع أساس سليم ، وأن الطريقة التى اتبعت فيه طريقة موصلة للغرض المطلوب ، ولكن كثيرا من مشاريع تربية الحيوان يحتاج الى وقت طويل فليس هناك مجال للسرعة فى الحكم عليه ، فمن المحقق أنه باستمرار استخدام الفحول المختبرة الممتازة ورفع مستوى الانتخاب فيها جيلا بعد جيل سيتحسن التركيب الوراثى فى الجاموس المصرى وسيزداد محصوله من اللبن والدهن .

كذلك ساهمت الهيئات العلمية والزراعية فى حركة تحسين الجاموس ، فمجهود الجمعية الزراعية الملكية فى هذا الموضوع لا ينكر ، فقد بدأت تهتم بالجاموس وانتخابه منذ عهد قديم كما نظمت لذلك المعارض والمسابقات ولا زلنا حتى الآن نجد أفرادا عديدة من الجاموس العالى الإدرار يرجع فى أصله الى جاموس الجمعية الزراعية .

كما يقوم قسم تربية الحيوان بكلية الزراعة بدراسة الجاموس من نواحيه المتعددة العلمية منها والعملية حتى يمكن فهم حقيقة تركيبه وطبيعة وراثة الانتاج فيه وغير ذلك من المعلومات التى تساعد على تحسين الجاموس المصرى ورفع إنتاجه .

كذلك قام هـذا القسم بإجراء انتخاب بين الجاموس حتى وصل الى مستوى عال من الانتاج والى تكوين قطيع من أفراد ممتازة فى ادرارها وإنتاج فحول لها قدرة على رفع محصول بناتها من اللبن والدهن .

وقد أخذ القسم فى إرسال هذه الفحول الى التفاتيش والهيئات التى بها عدد كبير من الجاموس رغبة فى تحسين نسلها ورفع إنتاجه .

هذا هو ملخص الدور الذى تقوم به الحكومة و لهيئات العلمية والزراعية فى سبيل تحسين الجاموس المصرى وهذا الدور وحده ليس كافيا للوصول الى الغرض المطلوب بل لا بد أن يقترن بمجهود آخر من جانب الأفراد حتى تتمكن الحكومة والهيئات من أداء مهمتها و إتمام رسالتها .

و إلى القراء موجزا عما يجب أن يقوم به الأفراد فى هذا الصدد .

فالفلاح يعتمد فى انتخابه لجاموسته على شكلها الخارجى فيراعى نقطا خاصة فى جسمها كحجم الضرع واتساع الحوض وغير ذلك من الصفات الخارجية إذ يعتقد أن قدرة الجاموسة على إعطاء محصول وفير من اللبن و لدهن مرتبطة بهذه الصفات .

والحقيقة أن هـذا الاعتقاد خاطئ فلا يرتكن على أساس علمى إذ أثبتت التجارب أن العلاقة بين محصول الحيوان من اللبن والدهن وشكله الخارجى علاقة ضعيفة جدا ، فكثيرا ما نجد جاموسة تتفق فى مظهرها وشكلها مع النموذج المرتسم فى مخيلة المربى أو المشترى ولكنها لاتعطى محصولا كبيرا من اللبن والدهن ، و بالعكس قد تكون الجاموسة ذات شكل غير مقبول ومظهر غير مرغوب فيه ، ومع ذلك فمحصولها من اللبن والدهن وفير .

لذلك كان واجبا على المربى والمزارع أن يعتمد فى انتخابه للجاموسة وفى تقديره لقيمتها وثمنها على محصولها من اللبن والدهن فهذا هو الشاهد الحق على كفاءتها الإنتاجية .

ولما كانت سجلات الإدرار فى مصر غير متوافرة فيمكن للمشترى أن يتفق مع البائع على أن تبقى الجاموسة فى حيازته مدة من الزمن ولتكن أسبوعا يختبر خلالها محصول الجاموسة من اللبن و يعرف نسبة الدهن فيه إما بالطريقة البلدية أو بإحدى الطرق الأخرى التى قد تتوافر لديه .

ويسرنى أن هـذه الطريقة وهى الاختبار قبل الشراء آخذة فى الانتشار لا سيما بين كبار المربين والهيئات الزراعية .

فلو عم انتشار هذه الطريقة لأمن المربى شر الخطأ فى انتخاب الجاموسة حسب شكلها ومظهرها ، وبذلك تضمن قصر التربية على الأفراد العالية الإدرار دون سواها ودفع ثمن الحيوان بما يتفق وحقيقة قيمته .

كذلك يهمل الفلاح المصرى أمر الطلوقة والعناية بانتخابها فيلقح جاموسته بأقرب محل لديه بصرف النظر عن كفاءته الكامنة وقدرته على رفع محصول بنائه ، وقد يعزى ذلك إلى اعتقاد الفلاح أن الفحل لا يعطى لبنا فهو بذلك عديم التأثير على محصول بنائه من اللبن والدهن .

لا شك أن هـذا الاعتقاد خاطئ إذ ثبت أن كفتى الأب والأم متعادلتان من حيث تأثيرهما على محصول بنائهما من لبن ودهن ، ولذلك كان إهمال انتخاب الفحل معناه إهمال لنصف تركيب النتاج .

والواقع أن اختيار الفحل يجب أن ينال عناية تفوق ما يناله انتخاب الجاموسة من اهتمام ، وذلك لأن الفحل يلقح كل عام عددا كبيرا من الجاموس وبذلك يكون أبا لعدد كبير من العجول والعجلات ، أما الجاموسة فلا تلد غالبا فى العام الا فردا واحدا وعلى ذلك فان تأثير الفحل على محصول اللبن والدهن يفوق أضعاف أضعاف تأثير أى جاموسة .

لهذا كان واجبا على الفلاح أن يهتم بانتخاب الفحل الذى يلقح جاموسته وأن يقدر كفاءته الانتاجية قبل أن يفكر فى استخدامه وأن يتخذ من العجول ما كانت أمه عالية الإدرار معروفة بمحصولها الوفير من اللبن والدهن ، وياحبذا لو تمكن الفلاح من اختيار الفحل الذى له بنات ذات إدرار عال إذ فى ذلك دليل على كفاءته الانتاجية العالية وقدرته على رفع محصول بنائه من اللبن والدهن .

والواقع أن هناك خلاف ما ذكر أخطاء شائعة كثيرة بين المربين كسوء التغذية وعدم اتزانها وعدم العناية بالجاموس أثناء الحمل لا سيما فى الأشهر الأخيرة وغير ذلك مما من شأنه أن يؤثر على محصول الجاموس من اللبن والدهن فيخفضه ، كما تحول هـذه الظروف دون اظهار حقيقة الجاموس وكفاءته الانتاجية .

كما أن هناك نواحى كثيرة يمكن عن طريقها أن يعاون الفـلاح الحكومة والهيئات العلمية والزراعية على تحسين الجاموس المصرى ورفع إنتاجه .

وربما كان خير طريق الى هذا التعاون هو تكوين جمعية تضم مربى الجاموس فى أنحاء القطر المختلفة تحت إشراف هيئة فنية تقوم بارشاد المربين الى خير الوسائل لسياسة وتغذية جاموسهم ، كذلك تدلهم على أحسن الأفراد وأعلاها إنتاجا وتختبر الفحول وتقدر كفاءتها الانتاجية وغير ذلك من الاختصاصات التى لا نجد داعيا للخوض فيها .

فاذا ما تعاونت الحكومة والهيئات مع المربين ممثلين فى تلك الجمعيـة يمكن أن تصل تجاربها الى مستوى عال من الانتاج وبذلك تزيد فى الثروة الحيوانية فى البلاد .

دكتور
عبد المنعم عاشور